

"لحم الفقراء" في تراث فلسطين

23 فبراير 2017

الأكثر قراءة

رأصد

1 الطابو الإسرائيلي الجديد: نكبة صامئة وتمهيد لمصادرة نحو 70% من أراضي مناطق "ج"

تقارير

2 إبادة المستقبل.. كيف تصنع "إسرائيل" جيلاً مشوهاً في غزة؟

رأصد

3 فرض السيادة الإسرائيلية على المناطق "ب" في الضفة: ملف صحراء القدس

تقارير

4 اغتصاب وتعذيب جنسي.. محررو غزة يروون لـ"الترا" فلسطين "فضائع السجون"

تقارير

5 الجبهة الديمقراطية لـ"الترا" فلسطين: مصر عرضت على الفصائل خطة من 5 بنود وهذه تفاصيلها



حمزة العقرباوي
باحث في التراث
الفلسطيني



قد يكون العدس من أكثر الأطعمة التي حضرت على موائد الفلسطينيين دائماً، فهو "لحم الفقراء" و"غذاء الفلاحين"، كما في الأقوال الشعبية. ولأنه غني ومتكامل فقد حضر في سلّة الفلاح وخزين مؤنته، ذلك أنه ينبت مبكراً ولا يحتاج إلى كثير ماءٍ ولا عنايةٍ، ويصلح للزراعة في السهل والجبل، وهو ملائمٌ لمناخ بلادنا.

ونظراً لأهمية العدس، فقد نسجت المخيطة الشعبية حوله الكثير من حكايات القداسة والأهمية، مع إدراكهم بأنه طعام الفلاحين الأساسي، وشريك الفقر رغم غناه وقيّمته الغذائية التي تعادل مكانة اللحوم. وقد اختلقت العامة أحاديث باطلة تُمجّد العدس وتباركه، لأن سبعين نبياً أكل منه، كما يزعمون، ولأنه طعام الزهد وأهل العلم وبسطاء الناس، وذلك في سياق الدفاع عن العدس الذي تزدريه النخبة ولا تذكره إلا إذا ذكر الفقر. فنسجت العامة حوله ما يحميه ويمجد أكلهم له. وينسبون له جملةً كبيرةً من الفوائد والمنافع لا سبيل لعدّها.

يوصف العدس بأنه "غذاء الفلاح" و"لحم الفقراء"، ويزعم العامة أن سبعين نبيًا أكلوا منه، وذلك ردًا على محاولة النخبة ازدرائه

ولا يستطيع أحدٌ من الأمم والشعوب أن يسرق تاريخ العدس وينسبه له، ويُغفل أن أجدادنا الأوّل أرباب أول الحضارات في فلسطين الذين عرفوا الزراعة قبل 10 آلاف عام، اهتموا لزراعة العدس وأدركوا قيمته في وقت مُبكر. ومثلهم الفراعنة والإغريق وغيرهم من شعوب وحضارات المشرق، قبل أن يفتن العلم الحديث لقيمته الغذائية.

اقرأ/ي أيضًا: هذا ما تبقى من أكلات فصل الشتاء

وقد ورد العدس في أخبارٍ ومتفرقاتٍ تاريخيةٍ كثيرةٍ، منها ما ورد في التوراة، أن "عيسو بن اسحق تنازل من أجل خبزٍ وطبيخٍ عدسٍ عن حقّ البُكورية لأخيه يعقوب". وقد امتدح العدس من قبل الفلاسفة الكليبيين "cyniques" في أثينا، الذين وصفوا بساطته.

وقيل أيضًا، إن الإمبراطور السوري هيليو غابال كان ينثر الأحجار الكريمة في أطباق العدس. وقالوا إنه كان طعمًا لبناء الأهرام في مصر، وقد عُثر على إناءٍ فيه عدسٌ مطبوخٌ في أحد المقابر الفرعونية بالأقصر. ووردت إشارةٌ لقمع إضرابات بائعي العدس في السوق أيام كليوباترا.

كما جاء ذكر العدس في القرآن الكريم: "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا".

والعدس كما في العربية: عُشْبٌ حولي دقيق الساق من الفصيلة القرنية، وثمرته قرنٌ مُفلطح صغيرٌ فيه بذرةٌ أو بذرتان. تنقشر كل بذرةٍ إلى فلقين برتقاليّتا اللون، وإذا لم تنقشر يقال عنه عدس "أبو جبة"، ذلك أن الحبة

تُحافظ على قشورتها وتبقى ترتديها كأنها جُبَّةٌ أو ثوب. وهو أصغر فصيلة القرنيات، حتى أنهم سموا نوعاً من الزعتر البري ذو الأوراق الصغيرة باسم "دَقَّة عدس". وقد ورد العدس في اللغة الهيروغليفية باسم (الأدس). ومن شكل حَبته سميت العدسات الطبية المعروفة.

والعدس طعامٌ مستقلٌّ بذاته غنيٌّ بمكوناته، لكنّه يُحب أن يُشارك ويُشارك، فنجدّه حاضراً في كثيرٍ من الأطعمة الشعبية، وحين ينفرد على المائدة يُحب أن تحضر معه من الخضرة والمُقَبَّلَات تشكيلةً واسعةً أهمّها البصل الشريك الأساسي للعدس على المائدة.

والعدس شريكٌ في طبخة "المجدرة" مع البرغل أو الرز، وكذا نجده في أكلة المصروعة (رز وعدس وزيت وبصل وثوم)، وأكلة الرّشتة (طحين وعدس وزيت وثوم وليمون)، وفي طبخة "رقاقة العدس"، والعدسية وغيرها. وإذا انقطع القمح وانعدم الخبز ولم يجدوا من الشعير والذرة ما يصلح لصناعة الخبز، جرشوا العدس وصنعوا معه خبزاً يُسمى "كراديش عدس" ومفردها "كردوش".

وهو من أكالات الشتاء بدرجةٍ أولى، لأنه يعطي طاقة ودفناً شأنه شأن المفتول والفريكة. وكانت قرى الفلاحين في غالب أيام الشتاء تهب منها رائحة العدس، حتى أن الأطفال كانوا إذا طُبَخ العدس قالوا: (اليوم ما فيه مطر!). وكان يكفي لأن تمر غيمتين في الجو ليُقال "اليوم يوم عدس". وهو يُؤكل مَفْتَوْتاً به خبز، ويقدم كشراب، ويكون منه مُدَمَّساً يُغَمَّس كالحمص وغيره.

العدس في الاعتقاد الشعبي

ويُعتقد بأن للعدس قدرةً على رد العين الحاسدة وكف الأذى عن أصحاب البيت، ولذا يرشون الملح والشعير والعدس عند أعتاب البيوت، وكذا عند انتهاء شهر رمضان.

يُعتقد بأن العدس قدرةٌ على رد العين الحاسدة وكف الأذى عن أصحاب البيت، ولذا يرشون الملح والشعير والعدس عند أعتاب البيوت

ونجد العدس حاضراً في الرقّي والأدعية ومن ذلك قولهم في علاج
المُصاب بالعين: (رقيتك بالله من عين خلق الله، ومن عين أمك وأبوك،
ومن عين الجيران وعين اللي حسدوك. عين الصبي فيها نبي، وعين الذكر
فيها حجر، وعين الجار مقلوعة بنار، طبخنا عدس سقينا عدس، المرة
عزمت والرجل عبس، أخرجي يا عين كما خرج المهر من بطن الفرس،
اللهم صلي على سيدنا محمد، أخرجي يا عين كما خرجت الشعرة من
العجين، اللهم صلي على سيدنا محمد).

اقرأ/ي أيضاً: **الزبيب الفلسطيني.. ما تبقى لكم من حلوى**

ولأن العدس طعام الأولياء والزهاد "أصحاب البركات"، حسب اعتقادهم،
فإنه يحضر في موالد الصوفية واحتفالاتهم، كما يفعلون في مولد أحمد
البدوي في مصر، حيث تطبخه العائلات وتأتي به ليوزع عن روح أمواتها
في يوم المولد الأول طلباً للثواب.

العدس في الأمثال والحكايات الشعبية

يعكس الإرث الشعبي بوضوح أهمية العدس ومدى حضوره في المشهد
اليومي بين الناس، وقد حفظت لنا الذاكرة الشعبية عشرات القصص
والأمثال والطرائف المرتبطة بالعدس. وهنا نستعرض جملةً من ذلك.

- إيلي بدري واللي ما بدري بقول كف عدس: وقيل بأن رجلاً لاحق
غريباً له يريد قتله لأنه اعتدى على زوجته، ولما فرّ الجاني حمل بكفة
عدساً، فاستغرب الناس، أيعقل بأنه يلاحقه لأنه سرق كفّ عدس بيده! فقال
لهم هذه المقولة التي صارت مثلاً.

- إذا كان عندك السمن قنطار، لا تقلي للعدس والبيصار: لا اعتبار أكلتي العدس والبيصار من الأكلات البسيطة، فإنها لا تستحق أن تضع عليها السمن البلدي.

- من عصّد لك عدّس له: أي من طبخ لك عصيدة، وهي أكلة شعبية فقيرة، أطبخ له بالمقابل عدس، فهما متساويتين بالمقدار.

- عدس بترابه كل شيء بحسابه

- حظ العدس وانفخ تحته ما أقطع من الخال إلا ابن أخته

- أرملة عدس ومتجوزة عدس وقاعدة بتتقي عدس: يقال لمن له حظ عاثر بكل الأحوال.

- باع الفرس بطبخة عدس

- زي العدس ما بينعرف ظهره من بطنه

- إعدس وأبصل: ويقولون "أجت الشتوية أعدس وأبصل"

- كل عدس تفوت الفرس: بمعنى تسبق الفرس في المشي لقوتك

- إن فاتك الميلادي خلي العدس للولادي: بعد عيد الميلاد لا تصلح زراعة العدس، لذا أبقى البذار لأولادك كي يأكلوه.

- في أيلول دبّر المكيول للعدس والحمص والفل: أي جهزها للبذر

- الكرسنة بتوشوش والعدس بينادي: عن آلية بذر العدس والكرسنة، حيث ينبغي المباعدة بين حبات العدس، بحيث تنادي الحبة على أختها لبعدها عنها على عكس الكرسنة التي تبذر بشكل كثيف.

هذه عُجالةٌ عن العدس في خزينة ذاكرة الأجيال، آملاً أن تكون طيبة المذاق كما العدس في أيام البرد والشتاء، خاتمةً بالأحجية الشعبية التي كانت تقال لنا دائماً: "اشي مدور ع البيكار، عدس يا ثور افهم يا حمار".

اقرأ/ي أيضاً: